

قصة برج بابل والتعدد اللغوي

حفيظ اسليماني
باحث مغربي



قسم الدراسات الدينية

ملخص:

ممّا لا شكّ فيه أنّ الله خلق الإنسان وكرّمه ومنحه لساناً يتواصل به مع بني جنسه، وهذه آية من آياته سبحانه تبارك وتعالى، وهذه القضية متعلّقة باختلاف اللغات البشرية، وقد ذهب سفر التكوين إلى أنّ هذا الاختلاف اللغوي لم يأت من فراغ، وإنما هو راجع إلى حادث بناء البرج المسمى ببرج بابل.

وقد حاولتُ في هذا البحث عرض القصّة كما ذكرها سفر التكوين، ثمّ دراستها دراسة علمية رصينة، بناء على مصادر ومراجع ذات أهمية بالغة، وقد مكّنتني هذا من الوصول في النهاية إلى أنّ قصة البرج وتعدّد لغة البشرية ما هي إلا قصة أسطورية مستوحاة من أساطير الشعوب القديمة التي تُرجع اختلاف لغات البشر إلى تدخل الإله.

مقدمة:

من القضايا المهمة التي تثار عند دراسة تاريخ الجنس البشري قضية أو مشكلة اللغة، فمما لا شك فيه أنّ البشرية ترجع إلى أصل واحد، وهو الإنسان الأول آدم وحواء ونسلهما، ولا شك أيضاً أنه كانت تجمعهم وحدة اللغة. ودون الدخول في مناقشة: هل اللغة الأولى توفيقية؛ أي هبة من الله، أم أنها اصطلاحية ابتدعها الإنسان؟ فإني سأطرق إلى الرواية التوراتية وبالضبط قصة برج بابل وحديثها عن تدخل الإله يهوه لبلبله لغة الجنس البشري إلى لغات عدة.

نصّ قصة برج بابل وتدخل الإله لبلبله ألسن البشرية: لقد وردت القصة في سفر التكوين على النحو التالي:

"وَكَاثَتِ الْأَرْضُ كُلَّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. 2 وَحَدَّثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. 3 وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نَصْنَعْ لِنَا وَنَسْوِيهِ شَيْئًا». فَكَانَ لَهُمُ اللَّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ وَكَانَ لَهُمُ الْحُمْرُ مَكَانَ الطِّينِ. 4 وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لِأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَالْبُرْجَ الَّذِي كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. 6 وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لَجَمِيعِهِمْ وَهَذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. 7 هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنَبْلِغْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ». 8 فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ فَكَفُّوا عَنِ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ 9 لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «بَابِلُ» لِأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلَّبَلَ لِسَانَ كُلِّ الْأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ".¹

هذه الفقرات تتضمن حديثاً عن وحدة لغة البشر، إلا أنه لما رحل هؤلاء شرقاً اتفقوا على بناء مدينة وبرج يتحصنون فيه حتى لا يتبددوا، لكن الرب نزل لرؤية المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم بينونهما، وبنزوله أدرك الرب خطورة الوضع؛ أي أن بدء الجنس البشري في العمل لن يمنعهم من فعل أي شيء نووا القيام به، فكان الحل هو تقرير الرب النزول وبلبله لسانهم، حتى لا يفهم بعضهم البعض، فبددهم فكفوا عن بناء المدينة، ولذلك سُميت بابل بدليل أن الرب بلبل لسان كل الأرض. هذه هي القصة باختصار كما وردت في سفر التكوين.

وقبل الدخول لمناقشة النص لا بدّ من التنبيه إلى أنه برجوعى إلى النص العبري وجدته يختلف عن النص العربي؛ فالترجمة العربية حددت مسار الجنس البشري بأنه في اتجاه الشرق. يقول النص للتذكير: "وَحَدَّثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ"، لكن النص العبري يقول العكس:

¹ - سفر التكوين 9-11

- "וַיְהִי، בְּיָסְעָם מִקֶּדֶם". أي وحدث ارتحالهم من الشرق؛ أي أنّ الوجهة تجاه الغرب، لأنهم أتوا من الشرق، فالترجمة العربية أخطأت في النص.

إنّ قصة بناء البرج تجسّد صراعاً حقيقياً بين الجنس البشري والإله؛ هناك بشر يريد الصعود وإله يقرّر النزول لينتقم منهم. لكن السؤال المطروح أولاً: من يكون هذا الإله؟ هل هو الله الخالق لكل البشر؟ أم هو إله من بين آلهة أخرى؟

حسب النصّ العبري، إنّ اسم الإله الذي بلبل لسان الجنس البشري هو يهوه:

- "וַיִּרְדּוּ יְהוָה (يهوه)، לְרֵאֵת אֶת-הָעִיר וְאֶת-הַמִּגְדָּל، אֲשֶׁר בָּנוּ، בְּנֵי הָאָדָם. ¹ וַיֹּאמֶר יְהוָה (يهوه)".

إنّ الإله يهوه كما يقول الدكتور عبد المجيد همو: "اسم يهوه اسم إله قبلي خاص، وليس إلهاً عالمياً، ولم يستطيعوا أن يرتفعوا - اليهود - به إلى مستوى العالمية"². وهذا ما تؤكدته دائرة المعارف الكتابية تقول تحت عنوان يهوه: "يهوه وهذا هو اسم العلم الشخصي لإله إسرائيل كما كان كموش إله موآب وداجون إله الفلسطينيين"³. إذن، فيهوه إله خاصّ ببني إسرائيل فقط وليس إلهاً عالمياً. وقد تطرق إلى هذه النقطة الدكتور جمال الدين الشرقاوي بقوله: "ولمعلومية القارئ المثقف، فإنّ عبّاد يهوه لا يؤمنون به كإله واحد أحد لا إله غيره، وإنما آمنوا به إلهاً خاصاً بهم دون سائر الناس وأنه يوجد آلهة غيره كثيرة تعبدها شعوب العالم"⁴. ومن النصوص التي تبين أنّ يهوه إله من بين آلهة أخرى أذكر:

- سفر الخروج: "مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الْآلِهَةِ يَا رَبُّ؟"⁵.

قد يقول قائل لا يوجد ذكر ليهوه في النص، فالرد هو أنّ الترجمات العربية - على الأقل ما اطلعت عليه - تترجم يهوه بالرب، ولكي يزول الإشكال أثبت هنا النص العبري والنص الإنجليزي ليتضح الأمر:

* التوراة العبرية: "מִי-כְמוֹךָ בְּאֵלֹם יְהוָה".

* الترجمة الإنجليزية New World Translation of the Holy Scriptures:

²- عبد المجيد همو، الله أم يهوه؟ أيهما إله اليهود؟، مراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعة، ط1، 2003، ص 101

³- دائرة المعارف الكتابية، مجلس التحرير: دكتور صموئيل حبيب، القس منيس عبد النور، دكتور القس فايز فارس، جوزيف صابر، المحرر ولیم وهبة بباوي، نشر دار الثقافة، م1، ص 380

⁴- جمال الدين الشرقاوي، تابوت يهوه، نشر مكتبة وهبة القاهرة، ط1، 2008، ص 61

⁵- سفر الخروج 11/15

- Who among the gods is like you, O Jehovah?.

*الترجمة الإنجليزية World English Bible:

- 15:11 Who is like you, **Yahweh**, among the gods?

- سفر الخروج: "الآن عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ الْآلِهَةِ".⁶

*المقابل العبري هو: יְהוָה יְדַעְתִּי، כִּי-גָדוֹל יְהוָה מִכָּל-הָאֱלֹהִים

- المزمور: "لَا مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الْآلِهَةِ يَا رَبُّ".⁷

*المقابل العبري هو: אֵין-כְּמוֹךָ בְּאֱלֹהִים אֲדֹנָי.

- المزمور: لَأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ عَلِيٌّ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا مُتَعَالٍ جِدًّا عَلَى الْآلِهَةِ جَمِيعِهِمْ.⁸

* المقابل العبري: כִּי-אַתָּה יְהוָה، יְלִיזֶן עַל-כָּל-הָאֱרָץ؛ מֵאֵד יְעֹלֶיךָ، עַל-כָּל-אֱלֹהִים.

أكتفي بهذا القدر من الأمثلة التي جاءت مؤكدة للقول إن يهوه هو إله من بين آلهة أخرى، وهو إله خاصّ ببني إسرائيل.

والاسم يهوه أيضاً غير معروف نطقه ولا أصله. يقول حبيب سعيد: "ومما هو جدير بالذكر هنا أنّ النطق الأصلي الصحيح لاسم الجلالة في العبرية يهوه قد ضاع، أمّا الحركات التي توضع عادة حيثما توجد هذه الحروف الصامتة، فهي متعلقة بكلمة أخرى أدوناي، وهي الكلمة التي كان ينطق بها عند قراءة الأسفار المقدّسة بدل من يهوه التي لم يكن يجوز النطق بها لقدسيّتها إلا لرئيس الكهنة مرة واحدة في السنة.⁹ بالإضافة إلى ضياع النطق الأصلي، فاشتقاق الاسم هو أيضاً مجهول، وذلك بشهادة دائرة المعارف الكتابية بعد إقرارها أنّ يهوه هو إله بني إسرائيل تقول: ولا نعرف المعنى الأصلي ولا مصدر اشتقاق الكلمة".¹⁰

⁶- سفر الخروج 11/18

⁷- مزمور 8/86

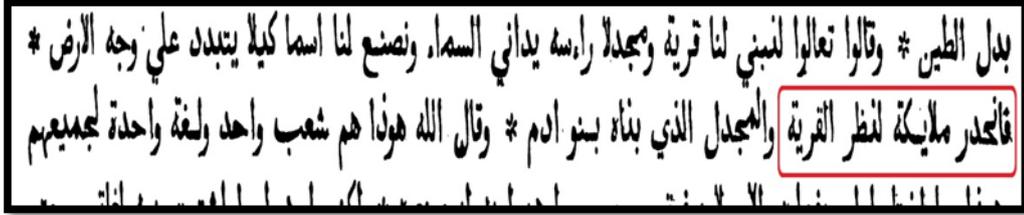
⁸- مزمور 9/97

⁹- حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، ص ص 30-31

¹⁰- دائرة المعارف الكتابية، م، ص 380

إذن فالإله يهوه هو إله خاص ببني إسرائيل فقط كما توجد آلهة أخرى لكثير من الشعوب، وعليه فالقصة لا تخص الجنس البشري كله، وإنما تخص بني إسرائيل بحكم أن يهوه إلههم الخاص بهم فقط.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك ترجمة قديمة تحدثت عن نزول ملائكة وليس يهوه، وأثبت النص مصوراً من الترجمة العربية¹¹:



ويبقى السؤال المطروح: هل نزل يهوه أم نزلت الملائكة؟

اسم المدينة: حسب النص يكون الاسم مرتبطاً بحادث الببلية، إذ جاء فيه: "8 فَبَدَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ 9 لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «بَابِل»»، لأنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلُ لِسَانِ كُلِّ الْأَرْضِ". فهل هذا الأمر صحيح؟

إن ربط اسم المدينة بحادث بابل تجيب عنه المراجع التالية:

- **دائرة المعارف الكتابية:** "نعرف من سفر التكوين أنه قد دُعي اسمها "بابل"، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض، فبابل تعني تشويش أو بلبلة، وهذا ممّا لا شك فيه بُني على أساس اللفظة العبرية بابل بمعنى يشوش أو يخلط. ولكن النقوش المسمارية العديدة تدلنا على أن بابل ليس من "بالالو" بمعنى يخلط، حيث إنه في البابلية يكتب الاسم: "باب- إيلي" أو إيلاني؛ أي باب الله أو باب الآلهة"¹².

- **E.A.Wallis Budge** يقول: "بابل أو بابليم (في الآشورية) تعني "باب الله"، وقد أثبت النصّ عموماً أنها تعني "بلبل" لكن النقوش تثبت أنّ هذا غير صحيح"¹³.

- **جيمس جورج فريزر:** "إنّ العلاقة اللغوية بين أمم بابل وبين بلبلة الألسن ما هي إلا من الخيال الشعبي، إذ إن الثابت علمياً أنّ كلمة بابل أصلها في اللغة البابلية نفسها "باب- إلو" أو "باب إل"¹⁴.

¹¹ - الكتاب المقدس، طبعة 1811

¹² - دائرة المعارف الكتابية، مرجع سابق، م2، ص 18

¹³ - history E.A.Wallis Budge, Babylonian life and Third Edition, 1891, P:19

¹⁴ - James George Frazer, Folk-lore in the Old Testament: studies in comparative religion, legend and law, macmillan and co. limted st. Martin's Street, London,1918, V1, p:365

إذن، فربط تسمية المدينة بابل بحادث بلبله الألسن لا يصح؛ لأنّ بابل تعني باب الله أو باب الآلهة كما ذكرت المراجع السالفة الذكر.

ولتأكيد هذا الأمر، نرجع إلى سفر التكوين الذي يتضح منه أنّ اختلاف لغات الجنس البشري هي حدث وقع قبل قصة برج بابل، وهذا ما يؤكد السفر إذ نقرأ فيه:

- "مِنْ هُوَلاءِ تَفَرَّقَتْ جَزَائِرُ الأُمَّمِ بِأَراضِيهِمْ كُلُّ إِنسانٍ كَلِسانِهِ حَسَبَ قَبائِلِهِمْ بِأُمَّمِهِمْ"¹⁵.

- "هُوَلاءِ بَنُو حَامٍ حَسَبَ قَبائِلِهِمْ كَأَلْسِنَتِهِمْ بِأَراضِيهِمْ وَأُمَّمِهِمْ"¹⁶.

- "هُوَلاءِ بَنُو سَامٍ حَسَبَ قَبائِلِهِمْ كَأَلْسِنَتِهِمْ بِأَراضِيهِمْ حَسَبَ أُمَّمِهِمْ"¹⁷.

بناء على هذه النصوص التي تخصّ الأنساب، والتي تسبق قصة برج بابل من حيث الترتيب على مستوى الأصحاح، وهذا يعني بكلّ وضوح أنّ تفرّق واختلاف وبلبله لغة الجنس البشري إلى لغات عدة هو حدث وقع قبل واقعة بناء برج بابل. وذلك لأنّ قصة البرج توجد ضمن الأصحاح 11 في حين نجد الحديث عن تفرّق أبناء نوح كل بلسانه يقع ضمن الأصحاح 10.

وأمام هذا الأمر، يقف الباحث ويطرح السؤال: أليس من الممكن أن تكون القصة مجرد أسطورة؟

إنّ سؤال وجيه ومهمّ بحكم الإشكالات التي يحويها النص من حيث الاختلاف بين الترجمة العربية والنص العبري، فضلاً عن قضية الإله يهوه، ثم قضية نزول الملائكة كما سبق البيان. أضف إلى ذلك أنّ معظم العالم القديم—إن لم يكن كلّه— أنتج أساطير تتعلق بتفسير اختلاف البشر على الرغم من أصلهم الواحد.

قصة بناء البرج والأسطورة:

يؤكد نجيب جرجس أنّ قضية بلبله الألسن توجد منذ القدم، يقول: "موضوع بلبله الألسنة مجمع عليه من العلماء والمؤرّخين؛ فالمؤرّخ اليوناني يولهيستر قال إنّ الناس كانوا يتكلمون بلغة واحدة وفكّروا في إقامة بناء يصل إلى السماء فبلبلت الآلهة ألسنتهم، والمؤرّخ أبيدينوس ينقل خبراً عن الأشوريين أنّ الناس قديماً فكّروا في بناء برج يتحدثون به مع الآلهة، فأحببت الآلهة مسعاهم وهدّمت بناءهم وبلبلت ألسنتهم، وأنّ بابل قامت في

¹⁵- سفر التكوين 5/10

¹⁶- سفر التكوين 20/10

¹⁷- سفر التكوين 31/10

المكان الذي وقع فيه. هذا ويؤكد أفلاطون أنّ الناس كانوا يتكلمون بلسان واحد ولكن جوبيتر بلبل ألسنتهم لأنهم كانوا يطمعون في الخلود".¹⁸

ويقول القس وليم مارش: "وقصص بابل عند قدماء الوثنيين موافقة لنبا التوراة. فإنّ فيها أن ذلك البرج أريد أن يكون رأسه في السماء، وأنّ الذين قصدوا ذلك أخطوا وأثموا، وظهر فيها أنّ الكاتب سرّ بخبيتهم، وأنّ الآلهة كانت تهدم ليلاً ما بينونه نهاراً فبلبل أخيراً بعل أبو الآلهة ألسنتهم. ومن العجب أنه جاء في هذه الأسطورة الفعل بلبل الذي في العبرانية عينه".¹⁹

القسّ هنا قلب الأمور، إذ قال إنّ: قصص بابل عند قدماء الوثنيين موافقة لنبا التوراة، لكن الصحيح هو أنّ القصّة في التوراة موافقة لقصص قدماء الوثنيين. وهذا بلا شك تخوّف من القسّ لكي لا يسقط في قضية اقتباس التوراة من أساطير السابقين.

وجاء في الأساطير السومرية بأنّ "الإله أنكي الذي كان غاضباً بسبب غيرته من سلطة إنليل المتعاضمة، والتي شملت الكون بأجمعه قرّر - أنكي- تخريب إمبراطورية إنليل الآمنة، فأثار الأزمات والحروب بين الشعوب. كما نُسبت إلى أنكي تهمة بلبله الألسن. ويساعد النص التالي على دعم هذا الأمر:

"أنكي. سيّد الكثرة، ذو الأوامر الثابتة إله الحكمة الذي يتفحص الأرض

سيد الآلهة،

إله إريدو، المتميز بالحكمة،

يدّل الكلمات من أفواههم وأدخل الاختلاف

إلى لغة البشر، بعد أن كانت لغتهم واحدة"²⁰

يصنّف جيمس جورج فريزر قصّة برج بابل بأنها أسطورة قائل: "إنّ مشهد هذه الأسطورة قد صور في أرض بابل، ذلك أنّ كلمة بابل هي الصيغة العبرية الوحيدة لاسم هذه المدينة. أمّا كون الكلمة هي الصيغة

¹⁸- نجيب جرجس، تفسير الكتاب المقدس: سفر التكوين، (واعظ الأقباط الأرثوذكس)، ص 192

¹⁹- للقسّ وليم مارش، السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت 1973، ص 73

²⁰- ديوان الأساطير سومر وأكاد وأشور، الكتاب الثاني: الآلهة والبشر، نقله إلى العربية وعلق عليه: قاسم الشواف، قدم له وأشرف عليه: أدونيس، الناشر: دار الساقى، بيروت - لبنان، ط1، 1997، ص 365

الشائعة المستخلصة من العقل بلل (بلبل بالأرامية) بمعنى بلبل، فهذا خطأ... وربما كان الشارحون على حق في إرجاع دافع الحكاية الأصلي إلى التأثير العميق لهذه المدينة الكبيرة على عقول البدو الساميين السذج. فهؤلاء الذين كانوا قد اعتادوا الوحدة وسكن الصحراء، قد أذهلهم ضجيج الشوارع والأسواق، وأبهرتهم الألوان المتغيرة في الزحام المصطخب، كما أدهشوا لضجيج الأصوات التي تنطلق من السنة غريبة، وذعروا لرؤية المباني الشاهقة وبصفة خاصة تلك المعابد ذات الارتفاع الشاهق وهي تعلو طابقاً فوق الآخر حتى كانت قممها البراقة المبنية من الطوب المصقول وكأنها تمسّ صفحة السماء الزرقاء".²¹

يرى أنّ القصة مجرد أسطورة وأنّ الساميين، بحكم البداوة، لمّا دخلوا المدينة انبهروا، ويضيف في هذا الصدد: "وليس بعيداً بعد هذا أن يتصوّر ساكنو الخيام أنّ هؤلاء الذين تسلقوا هذا البرج عن طريق انحداراته الملتفة حتّى كانوا يبدون في النهاية كالذرة المتحركة على قمة البرج، أنّهم كانوا اقتربوا من الآلهة بحق".²²

يوصل جيمس جورج فريزر فكرته في إطار بيان أنّ قصة النصّ التوراتي عن البرج هي أسطورة لا غير بقوله: "ولا تزال الآثار الترابية لمعبد هائلين من هذه المعابد تُرى حتى اليوم في بابل. ومن المحتمل أنّ أسطورة برج بابل تتصل بأحد هذه المعابد أو غيرها. ولا يزال أحد هذين المعبدتين يبرز بين حطام بابل نفسها ويحمل اسم بابل، أما المعبد الآخر، فيقع حطامه عند النهر قرب "بورسييا" ويعرف باسم "بيرز نمرد". وقد كان الاسم القديم لهذا المعبد الذي كان يقع في مدينة بابل، هو "أي-ساجيل"، وكان مخصصاً لعبادة الإله مردوك. أما الاسم القديم للمعبد الذي كان يقع قرب بورسييا، فهو "أي-زيديا" وكان مخصصاً لعبادة الإله "نبو" ولم يتفق الباحثون حول أي من المعبدتين كان في الأصل برج بابل؛ فالحكايات المحلية واليهودية تربط بين البرج الأسطوري وحطام "بيرز نمرد" الذي يقع عند بورسييا، ونحن نعلم من مخطوط عُثر عليه في هذا المكان، أنّ الملك البابلي القديم الذي بدأ في بناء برج المعبد عند بورسييا، تركه ناقصاً بدون قمة، وربما كان منظر هذا الصرح الهائل في شكله غير المكتمل هو الدافع وراء نشأة برج بابل".²³

المهمّ من هذا، أنّ برج بابل كما يحكي النصّ التوراتي هو أسطورة لا غير، أما بخصوص احتمال أنّ برج بابل هو برج معبد بورسييا هو احتمال مردود إلى حد ما، تقول دائرة المعارف الكتابية تحت عنوان: أين كان برج بابل: "اختلفت الآراء كثيراً حول الموقع الجغرافي لبرج بابل، ومعظم الكتاب يتبعون في ذلك التقليد المتواتر نقلاً عن العرب واليهود من أنه معبد "نبو" في مدينة بورسييا ويسمى الآن برأس نمرد، ولكن هذا

²¹ - جيمس فريزر، الفولكلور في العهد القديم، ترجمة: د. نبيلة إبراهيم، مراجعة: حسن ظاظا، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1972، ص 222

²² - نفسه، ص ص 222-223

²³ - نفسه، ص 223

البناء- رغم أهميته- لم يشر إليه البابليون مطلقاً على أنه برج بابل، لسبب وجيه هو أنه لا يقع في بابل بل في بورسيبا"²⁴.

ويبقى الحلّ الوحيد أن يكون البرج هو برج معبد الإله مردوخ، وهذا ما ذهبت إليه موسوعة الأديان السماوية والوضعية، إذ تقول: "كانت بيوت العبادة في بابل كما في أور باللغة الفخامة، أقيمت على مساحة واسعة من الأرض، وكان يسكن في المعبد الكهان والكاهنات ويضمّ المعبد غرفاً عديدة للدرس ومكاتب وغرفاً للعبادة ولخدمة الإله، وكانت كل مدينة تضم عدداً من المعابد، ففي بابل وحدها كان يوجد 53 معبداً، وهذا يدل على أنه كان لطبقة الكهان مكانة خاصة في حياة المدن الكبرى. وكان من أكبر المعابد البابلية وأكثرها روعة وفخامة هو معبد الإله "مردوخ" إله بابل الرئيس، وكان يعرف هذا المعبد باسم (أساجيلا Esagila) ومعناه (البيت المرفوع الرأس) تحيط به جدران عالية ذات أبراج صغيرة، وفي شمال باحته الواسعة تقوم زقورة، وهي ما يعرف في التاريخ برج بابل"²⁵.

فالبرج التاريخي برج بابل هو في الحقيقة برج معبد الإله مردوخ وما يحكيه سفر التكوين عن بناء البرج وبلبله الإله يهوه للغة الجنس البشري مجرد أسطورة كتلك الأساطير التي توجد معظم الحضارات القديمة، وهذا بناء على ما حكته ونقلته لنا كثير من المراجع كما سبق بيان ذلك.

اللغة: طبيعتها وتسميتها

إنّ كاتب سفر التكوين لم يذكر لنا شيئاً عن طبيعة وتسمية تلك اللغة الواحدة التي يفترض أنّ آدم وحواء تحدثا بها مع بعضهما البعض ومع الحية ومع الإله يهوه في جنة عدن، وهي اللغة التي يفترض أنّ أبناء آدم وأحفاده توارثوها، وظلت لغة واحدة للجنس البشري إلى أن وقعت حادثة برج بابل التي كانت السبب حسب سفر التكوين في تعدّد لغات البشرية.

يقول جيمس جورج فريزر في هذا الصدد: "قد أفترض جدلاً في العصور المتأخرة أنّ اللغة العبرية كانت هي الأولى للجنس البشري، ويبدو أنّ آباء الكنيسة لم يعارضوا هذا الرأي. وفي العصر الحديث عندما كان علم اللغة ما يزال نشيطاً وإن كان ناقصاً، بذلت الجهود لإرجاع كل أشكال اللغات الإنسانية إلى اللغة العبرية على اعتبار أنها أصل هذه اللغات، ولم يختلف الباحثون المسيحيون في تبني هذا الفرض الساذج عن

²⁴- دائرة المعارف الكتابية، مرجع سابق، م2، ص 16

²⁵- موسوعة الأديان السماوية والوضعية: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة- يليه معجم المعبودات القديمة، صف وإخراج: أورينت ستار، فرز ألوان: ماجد اخوان، تجليد المؤسسة الحديثة، الناشر: دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994، ص 77

علماء الأديان الأخرى، الذين رأوا أنّ لغة كتبهم المقدسة، لم تكن لغة آبائهم الأولين فحسب، وإنما كانت لغة الآلهة أنفسهم".²⁶

إنّ اعتبار جورج فريزر القائلين بأنّ اللغة العبرية هي أصل اللغات هو قول ساذج يبدو أنه هو نفسه يرفض اعتقادهم في ذلك. وأتفق معه فيما ذهب إليه اعتباراً لما يلي:

- أنّ معظم الشعوب القديمة التي كانت لديها أسطورة مشابهة لقصة برج بابل تفسر من خلالها اختلاف لغات البشرية، انطلاقاً من لغة واحدة هي الأصل، هذه الشعوب أقرت بأنّ لغتها كانت هي اللغة الأولى التي انبثقت عنها لغات العالم، وعليه فطبيعي أن يسير العبرانيون على التفسير نفسه في تبنيهم أنّ اللغة العبرية هي الأصل.

- علماء اللغة بعد التدقيق، قرّروا أنّ لغات العالم يمكن أن تقوم على ثلاثة أصول:

أ- اللغات السامية: نسبة إلى سام بن نوح وتتضمن العبرية والعربية والكلدانية والفينيقية والفارسية..

ب- اللغات الحامية: نسبة إلى نسل حام، وهي لغات الشعوب الإفريقية.

ج- اللغات الآرية: نسبة إلى يافث، وتدخل تحتها اليونانية واللاتينية واللغات الأوروبية.

فاللغة العبرية إذن، ترجع إلى الأصل السامي وليس أنها هي اللغة الأصل.

- "يشهد كثيرون من علماء اللغات، مثل: هرلد برون وبرتشرودو ومكسلر وغيرهم أنّ أمم العالم لا بد أن تكون جاءت من أصل واحد، فهم من هذه الناحية إخوة، وتغيير لغاتهم كان بقوة إلهية".²⁷ تغيير اللغات حسب هؤلاء العلماء وغيرهم كان بسبب قوة إلهية وليس بسبب الصراع مع الله عبر بناء البرج.

- أبناء نوح تفرقوا كل بلسانه قبل حدث برج بابل كما رأينا في سفر التكوين الإصحاح 10. وبالتالي، تسقط فرضية القول إنّ العبرية هي الأصل قبل حدث البرج. وذلك لأنّ تفرق أبناء نوح كل بلسانه يؤكد رأي كثير من العلماء القائلين بتدخل قوة إلهية كانت هي السبب في اختلاف لغات البشرية، وعلى هذا فلا قيمة للقصة التي تحدث عنها سفر التكوين.

²⁶ - جيمس جورج فريزر، مرجع سابق، ص 225

²⁷ - تفسير الكتاب المقدس: سفر التكوين، مرجع سابق، ص 192

خاتمة:

من خلال التدقيق في النص التوراتي الخاص بحادثة برج بابل أخلص إلى:

- القصة في التوراة تعاني من مشكل ضبط النص؛ فالنص العبري يتحدث عن رحيل الجنس البشري من الشرق، في حين تذهب الترجمة العربية إلى أنهم ارتحلوا شرقاً.
- إنّ الإله الذي نزل لببلبة لغة البشرية إلى عدة لغات هو الإله يهوه، وهو إله خاص ببني إسرائيل فقط، مثلما توجد آلهة أخرى عند عدّة شعوب.
- قصة نزول الإله من السماء لببلبة لغة البشر هي أسطورة من أساطير الشعوب القديمة انتحلها كاتب سفر التكوين.
- اختلاف لغة البشر هو حدث وقع قبل حادث برج بابل وخير دليل على ذلك هو الإصحاح 10 من سفر التكوين وحديثه عن افتراق أبناء نوح كل واحد بلسانه.
- القول بأنّ اللغة العبرية هي اللغة التي كانت سائدة قبل حادث الببلبة هو قول مردود، لكون العبرية تندرج ضمن عائلة اللغات السامية.
- إنّ اختلاف لغات البشر يرجع في أصله إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا ما جاء في القرآن الكريم في قوله جلّ جلاله: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَالِدَاتُ إِذَا حَمَلْنَ مِنْكُمْ وَهُنَّ كُنَّ عَرَبًا شَامِيًا أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ) (سورة الروم، الآية 22).²⁸

²⁸- سورة الروم، الآية 22

لائحة المصادر والمراجع

العربية:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- الكتاب المقدس، طبعة 1811
- جمال الدين الشرقاوي، تابوت يهوه، نشر مكتبة وهبة القاهرة، ط1، 2008
- حبيب سعيد، المدخل إلى الكتاب المقدس، صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة.
- دائرة المعارف الكتابية، مجلس التحرير: دكتور صموئيل حبيب، القس منيس عبد النور، دكتور القس فايز فارس، جوزيف صابر، المحرر وليم وهبة بياوي، نشر دار الثقافة.
- عبد المجيد همو، الله أم يهوه؟ أيهما إله اليهود؟، مراجعة وتدقيق: إسماعيل الكردي، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعة، ط1، 2003

العبرية:

- תנך: תורה – נביאים – כותבים.

الإنجليزية:

- E.A.Wallis Budge, Babylonian Life and History, Third Edition, 1891.
- James George Frazer, Folk-lore in the Old Testament: Studies in Comparative Religion, Legend and Law, Macmillan and co. Linted St. Martin's Street,London,1918.
- New World Translation of the Holy Scriptures Rendered from the Original Languages by the New World Bible. Translation Commettee —Revised 1984.
- The Holy Bible. World English Bible



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط – المملكة المغربية
ص.ب : 10569
هاتف: 00212537779954
فاكس: 00212537778827
info@mominoun.com
www.mominoun.com